أثر العامل الجغرافي في استقرار الرهبان المصريين

أ.م.د. رغد عبد النبي جعفر
مديرية تربية بغداد- العراق-/ الكرخ الأولى

المقدمة:

تناول الموضوع الملائمة الطبيعية والموقعية لمصر لتكون هدفاً للرهبان الذين دفعت بهم أسباب عقائدية وسياسية واجتماعية واقتصادية للتخلي عن حياة المدينة المترفة الى حياة الصحراء الشظفة، بعد أن عجزوا من محاولات الاصلاح للإنتقال بالمجتمع الروماني من حياة المجون الى حياة التوحيد، فكانت العبادة والتأمل وسيلتهم للنقاء الروحي للوصول الى الذات الالهية في بيئتهم الصحراوية الجديدة بعد أن لاحقتهم السلطات السياسية الرومانية حتى مرسوم ميلانو سنة (313م).

كانت العزلة في الجبال وسكنى البراري والكهوف والأديرة المنفردة والصوامع طريق هؤلاء الرهبان لاكتساب اللذة الروحية من خلال معرفة الذات الالهية بالحرمان وإلحاق الأذى بالنفس والجسد والجوع.

حقق هؤلاء الرهبان المكانة الاجتماعية والعقائدية المرسومة بالاحترام من قبل مجتمعهم، فالتحق بهم من سكان القرى والأرياف والمدن أعداد كبيرة نجح بعضهم في مشاركة الرهبان حياتهم، في حين فشل آخرون وعادوا أدراجهم. وكان الانبا بولا (228- 343م)، والانبا انطونيوس ابو الرهبان (251 -356م) الأمثلة اللامعة في حياة الرهبنة الانعزالية، حتى اختار انطونيوس الالتقاء بالناس والخروج من العزلة المنفردة فحقق نجاحاً واسعاً في اقناع المريدين لاختيار هذا النوع من الحياة والتعبد. وكان الامبراطور فالنس (364-378م) قد ألغى اعفاء الرهبان من الخدمة العسكرية بعد أن أعتقد أن انخراط الناس بها بكثرة كان وسيلة للهروب من الخدمة العسكرية فزج بالرهبان قسراً في هذا الميدان بينما لم يطبق هذا القانون بحق اليهود والوثنيين ، مما عزز إيمان الرهبان بترصد الرومان للعقائد النصرانية. واذا كانت الملاحقة السياسية والعقائدية من الأسباب المهمة لنشاط الرهبنة فإن الطابع الاقتصادي هو الآخر كان من الدوافع النشطة في هذا المضمار من خلال تعسف الرومان بنظامهم الضرائبي وأساليب الجباية القسرية التي تمارس ضد الفلاحين والمزارعين مما دفع بهؤلاء الى الالتجاء للرهبان في أديرتهم وقلاليهم بالرغم من حياة التقشف السائدة في هذه الأمكنة. الى جانب ذلك كان البعض من الأفراد قد اختار حياة الرهبنة بحثاً عن سلامة الروح ونقائها للوصول الى الذات الالهية وهم ينتمون الى أسر تتمتع بالثراء والرفاهية ، سواء كانوا من الرجال أم من النساء، ولما شاهد الناس التحاق هؤلاء بحياة الرهبنة وهم لايشكون شيئاً في حياتهم المدنية، قصدوهم للاستماع الى نصائحهم الخالية من الانتقام والحاجة. تميزت الحياة الرهبانية في الصحراء بجملة من التدريبات في العمل لتصريف شؤون الحياة اليومية من جهة، وأتباع منهج معين للسلوك الروحي وتوجيه الفكر والعاطفة الى حياة التأمل وإنكار الذات. وكان الالتزام بتوجيهات المرشدين والقديسين من السمات المهمة للتخفيف من عزلة الصحراء بلقاء هؤلاء والتتلمذ على أيديهم ليكونوا عوناً للرهبان في حياتهم القاسية، لذلك ظهرت روح التعاون والتخصص بين الرهبان، وطفق هؤلاء بمساعدة الآخرين الذين يفتقرون الى القوة والأهلية، وبهذا التعاون والمهارة في الأعمال تحولت كثير من البقاع من بيئات قفراء الى مناطق عامرة

بالإيمان والمعرفة. ولم يغب عن بال الرهبان وقيادتهم من القديسيين أن يحموا أنفسهم من غارات اللصوص أو مهاجمة الحيوانات المفترسة، فبنوا لأديرتهم وأماكن تعبدهم الأخرى الأسوار العالية بفعل تعاونهم الذي ذلل صعوبات توفير الغذاء والماء بتطوع البعض منهم لتحصيل ذلك. كما حصن الرهبان أنفسهم من مخاطر الأرواح الشريرة بجهود القديسيين الأوائل الذين وجهوهم بمقاومة هذه الأرواح والشياطين بسلاح الإيمان والصلاة ورشم علامة الصليب والعمل المضني. وبالرغم من جهود القديسيين من تطبيع الرهبان على حياة الصحراء القاسية ومزاولة أعمال التعاون والتوجيه بأساليب العبادة الى الله سبحانه وتعالى بعد تحقيق النقاء الروحي، لم تنجح هذه الجهود بثمارها مع كل الرهبان فبعضهم من أستقر ومارس حياته الجديدة، فيما عاد البعض الآخر الى المدينة ومارس حياة الترف واللهو وكسر القيود التي تتضمنها تعاليم الرهبنة من قواعد حرمان الزواج والملذات الأخرى بعد أن عانى هؤلاء من أعراض الكآبة والحزن، ولعل البعض من هؤلاء المرتدين من حياة الرهبنة عاد مرة أخرى بشعور الندم. لم يشكل الارتداد عن حياة الرهبنة الظاهرة الوحيدة والمفارقة هذه الحياة واسلوبها القاسي، وإنما كان البعض من القديسيين قد فارق هذه الحياة لأسباب عقائدية أو سياسية أو فكرية عاشتها المجامع المسكونية. وتكمن أهيمة الدراسة في إبراز روح التعاون والمشاركة والصبر بين الرهان، وطريقة تحويل حياتهم القاسية بالطبيعة ووسائل العيش الى حياة عامرة بالسلام والإيمان. لذا وجهت هذه الدراسة للبحث في بيئة مصر الجغرافية، ثم تعرضت الى دوافع الرهبان في التوجه الى الصحراء، مع توضيح كيفية تعامل الراهب مع بيئته الجديدة، كما تطلعت هذه الدراسة الى إبراز عملية صراع الرهبان ومعاناتهم في بيتهم الجديد ودور الاباء الروحيين في ذلك ، وأخيراً بنيت آثار الطبيعة الصحراوية على الرهبان مدار البحث.

المطلب الأول

بيئة مصر الجغرافية

1- الموقع والسطح:

مصر عبارة عن وادٍ تحيط به الصحاري والقفار من الشرق والغرب، وتكتنفه بعض الجبال العالية والتلال[1]، إذ تقع مصر في الركن الشمالي الشرقي من القارة الأفريقية، حيث يحدها من الشمال البحر المتوسط ، ومن الجنوب السودان، ومن الغرب ليبيا، ومن الشرق البحر الأحمر وخليج العقبة وفلسطين[2].ويعد نهر النيل أحد عجائب مصر، ومجراه من الجنوب الى الشمال خلافاً لجميع الأنهار[3]، إذ جعله الله تعالى "سقياً يزرع عليه ويستغني عن المطر به في زمان القيظ"[4]. وتتمتع بمصر بالعديد من التضاريس والمناطق الجغرافية المختلفة، فمن الموارد المائية بها ساحلي البحر الأحمر والبحر المتوسط ،فضلاً عن نهر النيل مورد المياه العذبة الرئيسي[5].

وتعد الرياح العامل الرئيسي في تشكيل سطح الصحاري المصرية وما عليها من ظواهر، ويساعد الرياح في ذلك عدة عوامل منها استواء سطح الأرض، مما يساعد على انطلاق الرياح دون عوائق، وانعدام الغلاف النباتي، ووجود معين لا ينضب من الرواسب المفتتة التي تحملها الرياح، فضلاً عن انتظام هذه الرياح على مدار العام[6]. إن هذا الحديث يقودنا بشكل طبيعي الى أنه توجد في مصر ثلاث مناطق صحراوية هي:

الصحراء الشرقية الواقعة شرق نهر النيل وغرب البحر الأحمر[7]، وتتألف أساساً من الجبال والهضاب، ففي الشرق نطاق جبلي مرتفع هو جبال البحر الأحمر، وفي الغرب تمتد هضاب واسعة أهمها الهضبة الجنوبية والهضبة الشمالية، فضلاً عن سهل ساحلي ضيق للبحر الأحمر، كما يقطع هذه الصحراء شبكة من الأودية الجافة، والمنطقة الثانية هي: الصحراء الغربية والتي تمتد غرب نهر النيل ، وتتألف من صحراء وهضاب ومنخفضات بالدرجة الأولى[9]، فضلاً عن الواحات البحرية والخارجة والفرافرة وسيوة، وكذلك المناطق الصحراوية المتواجدة في شبه جزيرة سيناء[10].

2- المناخ:

تقسم مصر الى عدة أقاليم مناخية متميزة، فتقع مصر في الأقليم المداري الجاف فيما عدا الأطراف الشمالية التي تدخل في المنطقة المعتدلة الدافئة التي تتمتع بمناخ شبيه باقليم مناخ البحر المتوسط[11]. وزود نهر النيل مصر بتربة خصبة، ومدها بما يلزمها من مياه، وصنع سهلاً لاستقرار سكانها، وأعطى بيئة صالحة لقيام واحدة من أقدم الحضارات الانسانية وأعظمها[12]، رغم إن "أرض مصر لا تمطر ولا تثلج البتة"[13]، على رأي بعض الجغرافيين العرب، وتعتقد الباحثة إن هذا الحكم لا يصح دائماً. وعرف عن المصريين إنهم يكرهون المطر الذي هو رحمة من الله تعالى وذلك "لأن زروعهم لا تزكو عليه"[14]، هذا القول الذي يراه ياقوت هو الآخر لايمكن قبوله علمياً ، "ولايجتمع الغيم الممطر بأرض مصر إلا نادراً، لأنها تترطب في الصيف والخريف بمد النيل وفيضه"[15]، ولعل مقالة المقريزي هذه فيها سبب علمي للتعليل.

ومما تقدم يمكن القول أن الطبيعة هي التي هيأت المأوى المثالي لاحتضان الرهبان المصريين، بفضل مناخها المتجانس صيفاً وشتاءاً وقلة أمطارها، كل ذلك ساعد على صلاحية السكن في الجبال والصحارى المصرية[16]. فيما نرى ان حركة الرهبان من المدينة الى الصحراء كانت حركة جغرافية أرتبطت بالهدف الروحاني عند الراهب، لأن الراهب يقصد بالابتعاد عن الرفاهية، والهروب من حياة اللهو والمجون بأن يُلحق الأذى بنفسه حتى يلتصق بالذات الالهية، فوجدها في البيئة الجغرافية الجديدة التي علمته شظف العيش والخشونة والحرارة الشديدة ، فكان عليه أن يتحمل هذه البيئة القاسية رغم أنه ينشد هذه القساوة ، وأن يتكيف مع المحيط الطبيعي حتى يكتب له البقاء. فمن المعروف ان الخط الأساسي في الرهبنة "هو الاعتزال عن العالم للتعبد"[17]، "والانشغال بالتحدث الى الله أو الاستماع إليه في القلب، فالراهب يجب أن يستمع لصوت الله اي في طبيعته الخاصة، وفي الطبيعة حوله، فيلجأ الى حياة السكون والتأمل والصلاة"[18]، وهذا ما وفرته له الصحراء المصرية. ولاشك أن أماكن الخلوة نافعة ولازمة لاتعاض روح الراهب، فبقدر اتساع الصحارى والبراري بقدر ماتتسع آفاق النفس والقلب والفكر[19]. هذا التوجه هو الذي زرع في أفكار هؤلاء الرهبان آفاق لتنظير في هذه الخلوات، وذلك بأن يعملوا لها قواعد وقوانين حتى تجذب الآخرين، لذلك شكلت الصحراء المصرية بنظرنا عامل جذب للرهبان بعدما كانت عامل طرد لسكانها الأصليين.

المطلب الثاني

دوافع الرهبان في التوجه الى الصحراء

بعد أن شاهد الرهبان صورة حياة المدينة ، وما تحمله من لهو ومجون وخلاعة وماشابه ذلك، ولم يستطيعوا أن يوجهوا الناس لمعطياتهم الروحية، لذا أحسوا بالعجز في هذه البيئة أقوى من كل تصوراتهم، فهاجروا بالضد منها الى بيئة خالية من كل المغريات، وهذا ما تمثل في الصحارى والقفار والبراري والجبال بما توفره من سكون وعزلة تامة عن كل الناس "وعكوف على الصلاة العميقة بلا أنقطاع"[20]، "بدعوى التصدي لمقاتلة شياطين الشهوات ونوازع الرغبات الدنيوية"[21]، وبذلك يحصلون على "تعزية روحية وراحة للفكر والجسم اكثر مما لو كانوا في العالم"[22]. وكان لاستقرار الرهبان المصريين في الصحراء عدة منافع نذكر من بينها:

1- الدوافع السياسية – الدينية.

2- الدوافع الاقتصادية – الاجتماعية.

3- الدوافع الشخصية.

أولاً: الدوافع السياسية – الدينية.

إن الاضطهاد الذي صب على النصرانية كدعوة جديدة من قبل الأباطرة الرومان شمل الرهبان، لأن حياة الرهبنة هي صورة من صور النصرانية التي تتقاطع مع حياة الرومان وبذخهم وسلوكهم العام في الحكم والمجتمع. في الواقع إن حملات الاضطهاد العنيفة التي شنها الأباطرة الرومان الوثنيون أمثال: ديسيوس[23] (249- 251م) وفاليريان[24] (253- 260م) ودقلديانوس[25] (284 -305م) ضد النصارى من رعاياهم للقضاء عليهم[26]، دفعت بهؤلاء الى الفرار والاختفاء في الصحراء والجبال حفاظاً على دينهم وعقيدتهم[27]، "... وتشردوا لابسين جلود الغنم والماعز محرومين مقهورين مظلومين، لا يستحقهم العالم، فتاهوا في البراري والجبال والمغاور وكهوف الأرض"[28]، إذ اختاروا لأنفسهم حياة الفقر والعزلة، فعن "طريق العزلة يكتسب العقل لذة روحية بمعرفة الذات الالهية"[29]، وبعد فترة يفتح الراهب أبواب صومعته ويستقبل العالم الذي ولى منه في بداية الأمر فراراً[30]، بالنصح والارشاد والتوجيه.

ويذكر ابن المقفع[31] في سيرة البابا[32] الاسكندري ديونيسيوس[33] (246-264 م) ان القرن الثالث للميلاد شهد فرار أعداد كبيرة من أهل القرى والمدن الى "الصحارى والجبال المصرية ، ماتوا من الجوع والعطش ، من شدة الحرارة " ومنهم من عاد الى المدينة فروى ماحدث وماتحمل من أهوال ، ومنهم من لم يعد لأنه هلك ، أو لأنه آثر حياة العزلة في الصحراء[34]، "هذه الحياة المحفوفة بالخطر المنعزلة ، المتنافرة مع ترف العصر، عودتهم على العفة و ضبط النفس...[35] "، ويعبر الباحث البير أبونا[36] عن سلسلة الاضطهادات فيقول: "كانت النصرانية حتى قبيل صدور مرسوم ميلانو سنة (313 م) ، تعيش تحت وطأة الاضطهاد ...فكان على النصراني أن يختار البطولة والتضحية ، وإن يستعد في كل حين للشهادة ...وكان الشهيد يحقق فكرة الراهب بتجرده عن كل شيء وباعطائه ذاته لله حتى الموت "، وتصفهم الباحثة سيفينسيسكايا[37] " أنعزل البعض في أماكن معينة وبراري، وكهوف، حيث عاشوا فيها حياة زهد وتقشف، سعياً منهم لانقاذ أنفسهم بالصلاة ، فرأى النصارى في مثل هؤلاء الرهبان - أو النساك - قديسين "، فهاهو الانبا[38] بولا

(228 – 343 م) ظهر كناسك يسكن في الصحراء هرباً من المنازعات على الثروة التي ورثها مع أخيه[39]- أو زوج أخته- الذي أبلغ عن عقيدته النصرانية السلطات الرومانية أثناء أضطهاد الامبراطور ديسيوس (249- 251م)، لذا قرر بولا أن يهجر المدينة ويتنازل عن كل شيء، ويتوجه الى الصحراء الشرقية متسلحاً بالفقر والعوز ضد أهواء الجسد والعالم[40].من جانب آخر لما أحس القديس انطونيوس أبو الرهبان (251- 356م) بخطورة الغنى، وجمال الحياة الأبدية، وذاق لذة النسك والفقر من أجل الله، أستودع أخته بيتاً للعذارى، وأنطلق الى الصحراء الشرقية يجرب العبادة الحرة وحياة النسك والتوحد، لكن دون أن يكون له منهج معين أو نظام خاص[41]، لذلك شكلت ظاهرة العزلة والفرار من الدنيا خصائص مركزية للرهبنة النصرانية. وبعد عشرين سنة من عزلة انطونيوس خرج عن حياة العزلة، وعمل على إقناع الآخرين وحملهم على سلوك حياة التقشف والاعتزال[42]، لذلك امتلأت الجبال والبراري وكثرت الأديرة[43] التي يسكنها الزهاد والنساك، على عهد الامبراطور قسطنطين[44] (305- 337م) وبعده، أي زمن الحرية الدينية والعصر الذهبي للرهبنةالنصرانية، رغبة في العبادة وخلاص أنفسهم، لاهرباً من اضطهاد ما[45]، ربما قد تكون الحرية الدينية ولدت فتور في الحماس الديني لدى النصارى، فنظروا للرهبنة على إنها نوع من الاستشهاد بدون سفك الدماء[46]. والظاهر إن "عزوف المسيحيين الأوائل عن الحياة الجادة النشيطة ساعد على أعفائهم من الخدمة" [47]، لذلك أعتبرهم الامبراطور فالنس[48] (364- 378م) متسترين تحت مظهر كاذب للتدين ليخفوا كسلهم، ويتركوا الأعمال التي كان يجب أن يمارسوها في المدن[49]، لذلك اصدر سنة (357م) مرسوماً "يقضي بإلغاء أمتيازات الاعفاء من الخدمة العسكرية الذي كان ممنوحاً فيما مضى للرهبان، وكذلك لسكان بعض المدن والمقاطعات التابعة للأديرة[50] "، فتم أقتحام الأديرة في وادي النطرون وإدخال الرهبان في الخدمة العسكرية قهراً [51]، بعد أن زادت أعدادهم زيادة هائلة حتى امتلأت صحراوات مصر الشرقية والغربية بهم[52]، بينما صرح للوثنيين ورخص لليهود أن يمارسوا أمورهم الدينية بحرية[53]. وهذا ما مثل بقايا حالة العداء بين العالمين الوثني والنصراني.

ثانياً: الدوافع الاقتصادية – الاجتماعية:

من المسلم به إن اثار العامل الاقتصادي على المجتمع تكون واضحة بالسلب أوالإيجاب، ولما كان تأثير العامل الاقتصادي ينعكس على المجتمع بكل صوره ، خلق ذلك تداخلاً بين الجانبين حتى صار جانباً واحداً. لقد نشأت في الأوساط الشعبية الفقيرة حركة زهد وتقشف في أملاك الامبراطورية الرومانية كرد فعل سلبي على التناقضات الاجتماعية والفساد الاقتصادي من كثرة الضرائب، وقساوة جامعيها من قبل السلطات الرومانية[54]، حتى غدت الضرائب عبئاً ثقيلاً على الفلاحين وصغار المزارعين ، فمن عجز عن الدفع كان يجلد ويسجن ويباع أطفاله عبيداً، هذه الحالة دفعت بالفلاحين الى ترك هذا العالم بما فيه الى حياة الرهبنة التي وفرت لهم الأمن، رغم مافيها من شظف العيش وخشونته[55].

ثالثاً: الدوافع الشخصية:

رغم أهمية العوامل السابقة ودورها في تشجيع البعض على الاعتزال عن العالم المحيط به، والبحث عن الخلاص عن طريق العفة والصلاة وتعذيب الجسد[56]، إلا أنه وجدت أيضاً رغبة داخلية عند البعض في

التوجه نحو هذا النوع من الحياة، إذ ظهرت لنا نماذج من الرهبان أو الراهبات لم يدفعهم عامل سايسي أو اقتصادي نحو الرهبنة، لذلك لأنهم أصلاً كانوا ذو سلطة ونفوذ ومال أمثال القديس بولا (228- 343م) والقديس انطونيوس ابو الرهبان (251- 356م)، والقديس مارمينا العجائبي[57] والقديس ارسانيوس[58] والقديسان مكسيموس وأخوه دوماديوس[59] ، والقديسة دميانة[60] والقديسة ايلاريا[61]، وغيرهم الكثير ممن آثروا حياة النسك وسكنوا البراري وشقوق الأرض وفي المغارات[62]، بحثاً عن سلامة الروح، وكان هؤلاء في الغالب يسيرون حفاة ويفترشون الأرض ويتغذون بما تجوبه الطبيعة أو يصومون صياماً طويل الأمد ليقهروا أهواء الجسد وشهواته، حتى إن هذا الأمر حدا بالناس بالتوافد على هؤلاء النساك ليستمعوا الى نصائحهم ويتلمسوا البركة منهم[63].

المطلب الثالث

تعامل الراهب مع البيئة الجديدة

في الغالب إن العيشة التي قضاها الرهبان المصريين في الصحارى والقفار والبراري هي إنكار لكل الغرائز والميول الطبيعية[64]، وهذه الحياة الخارقة للطبيعة تَعلَم بها الراهب كيف يتعامل مع مكوناتها، ويؤثر فيها ويتأثر بها، محاولاً توفير حاجاته الضرورية لبقائه واستمراره.

المعروف إن حياة الطبيعة هي حياة السكون والتأمل، هذه الحياة التي ساعدت الراهب على تأمل عظمة الله فيما حوله من الصخور والرمال والنباتات العجيبة التي تنمو في الصحراء دون أن يزرعها أو يهتم بها أحد[65]، " الرب يغطي السماء بالسحب، ويُهيء المطر للأرضِ، وينبتُ العشب في الجبال..."، ويبدو أن استمرار السكون والتأمل يؤدي الى تقوية العقل والقلب معاً، إذ يقول القديس يوحنا القصير[67]: " كلما استمر السكون ضعفت الأوجاع، وكلما ضعفت الأوجاع قوي العقل قليلاً قليلاً، الى أن يصح ويستريح.." [68]. إن حياة الراهب في الصحراء سلسلة من التدريبات للإرادة وقمع أهواء النفس، وأتباع لمنهج معين في السلوك الروحي، وتوجيه للفكر والعاطفة الى الحياة التأملية، وإنكار الذات[69]. كان من الطبيعي أن يفكر الراهب في التخفيف من عزلة الصحراء بدافع حب البقاء، فأخذ في التركيز حول مرشد اشتهر بالقداسة والعلم ليتتلمذ عليه حتى يصل الى هدفه النسكي، وإلا هلك في فيافيها ووديانها[70]، لذلك طوع عدة اباء مرشدين هذه البيئة الجديدة القاسية في القرن الرابع وما بعده، وجعلوها صالحة للسكن والاستقرار وأشهر من هؤلاء الاباء بعد القديس انطونيوس ابو الرهبان (251- 356م)، القديس باخوميوس[71] (290- 348م) ابو الحياة الديرية المشتركة، والقديس آمون النتروني[72] (294- 350م) مؤسس أديرة نتريا، والقديس مكاريوس الكبير[73] (300- 390م) مؤسس الجماعات الرهبانية في شيهيت بوادي النطرون، والقديس مكاريوس الاسكندري[74] (ت394م) ابو القلالي[75]، وغيرهم الكثير[76]. درج بعض الرهبان على الحياة في الصحراء والقفار رغم صعوبتها وقسوتها، محاولين الاستقرار وجعلها بيئة صالحة للسكن من خلال جهودهم الشخصية في خدمة الآخرين الضعفاء أو الذين يجهلون العمل ومنهم الراهب (ذوروثاوس) [77] "يمضي النهار كله في القفار يجمع الحصى ، والحرارة في ذروتها ، لكي يبني منها قلالي يعطيها لمن كانوا عاجزين عن البناء، وكان ينجز قلاية واحدة في السنة" [78]. لعل هذا دليل على إنه كان بناءً قبل أن يترهب ، وعلى حب التعاون

والمساعدة غير مبالي بإرهاق جسده تحت الشمس. والراهب (ابولونيوس) [79] قدم مساعدة من نوع آخر للرهبان إذ كان " يبتاع من الاسكندرية كل أنواع المنتجات الطبية والمؤن، بغية توزيعها على الأخوة المرضى في الجماعة" [80]. وهذا يدلل على إنه ربما كان على معرفة بالأعشاب الطبية في حياته السابقة. لذا نجد الغالبية العظمى من الرهبان تتحلى بالصبر الدائم مهما كانت الظروف، ومهما كانت الحياة مرهقة وقاسية، وتراهم في سلام تام مع أنفسهم حتى في حالات المرض والعجز[81]. لقد أستقر الرهبان بجهودهم النادرة وصبرهم في أمكنة يصعب أن يقيم بها الانسان، كانت بيئة قفرة وخربة حولوها الى مناطق عامرة بالسلام والإيمان والعلوم والآداب[82].

المطلب الرابع

عملية الصراع والمعاناة في البيئة الجديدة

ودور الأباء الروحيين في ذلك

إن الظروف القاسية التي أحاطت بالمتوحدين في البيئة الجديدة، من مخاطر طبيعية ومادية ونفسية، دفعت بالرهبان الى حماية أنفسهم من هذه التهديدات والمخاطر عن طريق الالتفاف حول الأباء الروحيين ليسترشدوا بتعليماتهم ، فكانت قلاليهم ومغاورهم قريبة ومتجاورة ويتعاونون فيها على حل الأزمات المادية والنفسية التي كانت تواجههم، أما المخاطر الطبيعية المتمثلة بالتقلبات المناخية من ارتفاع درجات الحرارة ، وهبوب الرياح العاتية، وغضب المياه من فيضانات[83] وأمطار الى جانب المخاطر البشرية التي كانت تمثلها غارات البربر وقطاع الطرق وما يترتب عليها من أعمال السلب والنهب والخراب والدمار، فضلاً عن هجوم بعض الحيوانات الضارية كل ذلك وغيره دفعهم الى فكرة تشييد الحصون الداخلية المسماة (الجواسق) [84] في كل مناطق الأديرة المختلفة[85] ، ويؤكد الباحث زكي شنودة[86] على ذلك بقوله: ".. مع الزمن ابتدأ هؤلاء النساك المتجاورين يتعاونون في إقامة الصلاة وتدبير ما يلزم لهم من شؤون حياتهم ، وحماية أنفسهم من ضواري الصحراء، وغارات البربر، فقاموا يبنون أسواراً عالية تضم قلاليهم وتعزز مانشأ بينهم من تعاون ومودة..".

وفيما يأتي نتعرض لأهم الأزمات التي اعترت رهبان مصر في الصحراء نذكر منها:

أولاً: الأزمات الطبيعية:

ظل الانسان يخشى تقلبات الطبيعة من حوله دائماً، من حرارة وبرودة وأعاصير ورياح وأمطار وفيضانات وغيرها، وظل يعمل بالتدريج على حماية وتأمين نفسه من تلك الأخطار، حتى يكتب له البقاء، فضلاً عن ذلك تعد الصحراء الموطن الأول للحيوانات الضارية، ويجوب أكنافها قطاع الطرق من اللصوص، والبربر المتوحشين. فعندما حل الرهبان لأول مرة بالصحراء للاستقرار فيها فوجئوا بكل تلك الأخطار المحيطة بهم، فأظهر الرهبان المحبة للحيوان حتى الضواري منها الى أن أنست بعض الوحوش لهم ولم تفزع عند رؤيتهم، لكن بقى الخطر يحيط بالرهبان في كل مكان من الصحراء من بعض الحيوانات، فذات يوم خرج الراهب تادرس[87] تلميذ القديس باخوميوس (290- 348م) لجمع الحطب مع الرهبان، فإذا بثعبان يعظ أحد الرهبان، الذي أخذ يصرخ متلوياً من الألم، فقام الراهب تادرس بقتل الثعبان ، ثم رشم[88] علامة الصليب على مكان الإصابة المنتفخ بالسم القاتل ، ثم دعا الرهبان الى الصلاة وتقديم الشكر للرب، لحفظه أياهم من خطر أكيد[89].

ثانياً: الأزمات المادية:

كما هو معروف عن الصحارى والقفار جرداء تندر فيها المياه، وتكاد تخلو من موارد الغذاء[90]، وتتفق المصادر على اعتبار الخبز والملح والماء هي المكونات الثلاثة الأساسية حتى بالنسبة لأكثر الوجبات تقشفاً. ويذكر لنا بلاديوس[91] أنه كان هناك "سبعة افران ينتفع منها ست مائة متوحد في جبل نتريا"، أما الملح فلا توجد صعوبة في الحصول عليه في مصر، وهو البلد التي يتمتع بوفرة من هذا الركاز المعدني[92]، فيما كان الماء يتعذر على بعض النساك مما يضطره الى القيام برحلات تمتد الى مسافات بعيدة للحصول على الماء النقي[93]. لقد كان القديس موسى[94] اللص التائب يأخذ خلسة جرار الماء من الرهبان المنتشرين في الصحراء ويملؤها بالماء[95] "لأنهم كانوا يجلبون الماء الذي يحتاجون إليه من مسافات تقع على بعد ميلين، أو خمسة أميال، بالنسبة للمكان الذي يقيم به كل ناسك، وكان بعضهم يحمل الى مكان إقامته ماء يكفيه لمدة أسبوع" [96]. وبالرغم من قلة المؤونة فإنها تساعد الرهبان على ممارسة العبادة، إلا اذا نزلت بأحدهم نازلة المرض وعجز عن التنقل للمعالجة كان مصيره الموت المحقق على الأغلب[97]. الثابت ان الانسان نشأ ميال الى الاجتماع والتعاون، لذلك راح الرهبان يبنون قلاليهم متجاورة من بعضهم ، لكن كلا منهم يمارس عبادته على طريقته الخاصة مصحوبة بالتقشف والحرمان وكبت الغرائز والامعان في الوحدة[98].

ثالثاً - الازمات النفسية:

تعرض أغلب النساك الى عدة أزمات نفسية وروحية عنيفة كادت تؤدي بكيانهم المعنوي، فقد قاد المتوحدون معارك غير منظورة ضد الشياطين والأرواح الشريرة في الصحراء، التي عملت على مهاجمة الرهبان فكرياً لمحاولة حشو عقولهم بأفكار شريرة[99]، لذا احتاج المتضرر الى مرشد أو أب روحي ليأخذ بيده عبر هذا الطريق الطويل[100]. ونجد في السير الذاتية الخاصة بالرهبان الأوائل أوصافاً مطولة لسلوك الأرواح الشريرة وطرقهم المختلفة في مضايقة الرهبان ومن الأمثلة على ذلك مقاومة القديس انطونيوس (251- 356م) لهذه الأرواح الشريرة بسلاح الإيمان والصلاة والصوم ورشم علامة الصليب ضد الميول الشريرة[101]، فيما عمد القديس مكاريوس الاسكندري (ت 394م) أبو القلالي على حمل الرمال على كتفيه عبر الصحراء ، حتى يضبط جسده وينهكه ويمنع أفكاره الشريرة وشرود ذهنه عن ذكر الله[102]، بينما خرج القديس مكاريوس الكبير (300- 390م) منتصراً من معاركه مع الشيطان فنال موهبة طرد الأرواح ، وموهبة الشفاء والتنبؤ في الأسقيط بوادي النطرون[103].

المطلب الخامس

أثار الطبيعة الصحراوية على الرهبان

طبعت البيئة الجديدة الرهبان بخصائصها المناخية ، فأنقسم الرهبان الى قسمين الأول بانت عليهم علامات الثبات والعزيمة القوية وهذا مالمسناه في الرهبان الأوائل واتباعهم، الذين قادوا الصراع من أجل الحياة، واستطاعوا أن يتكيفوا ويطوعوا البيئة الجديدة لحاجاتهم الضرورية ، بدون أن يصيبهم الملل أو الضجر في ظل هذه العزلة والجفاف والتقشف . أما القسم الثاني فضاق ذرعاً بالرهبنة، واصابه الحزن والاكتئاب الذي نشأ من الحرمان من ملذات العالم[104]. فحنث بنذره[105] وعاد يعيش في المدينة عيشة غير سوية خاصة بعد أن قضى أعواماً بالصحراء حاول أن يتطبع على الكفاف وقتل الغرائز الانسانية والتقشف[106]، ومنهم من تزوج، ومنهم من يؤنبه ضميره فيعود بعد فترة الى ديره أو دير آخر[107]. ومن بين هؤلاء الرهبان على سبيل المثال لا الحصر، الراهب (ايرون الاسكندري) الذي كان "نظام حياته قاسياً، إذ كان يمر عليه ثلاثة اشهر

دون أن يأكل ، مكتفياً بالمناولة[108]، وبخضرة برية اذا اتفق أن وجدها " [109] ، فأحصيب بداء الكآبة وأظلمت نفسه، ولم يستطع البقاء في قلايته فرحل الى الاسكندرية ، حيث قضى وقته في ارتياد المسارح وميادين السباق[110]. في هذه الرواية دلالة واضحة على ما يفعله الكبت والعزلة والحرمان من آثار خطيرة على سلامة عقل الانسان. وعمد الراهب الاسقيطي (بتولماوس) بكل صبر وطول بال على جمع الندى بالاسفنجة في شهري كانون الاول والثاني ، ليعيش عليه كمصدر مائي له على مدى السنوات الخمس عشرة التي عاشها هناك، فابتعد عن لقاء القديسين ودعمهم وارشادهم، فانتهت حاله بالرحيل الى مصر، حيث عاش هناك عيشة غير طبيعية وسقط في الخطيئة[111].

ان هذه الحالة من الفتور الروحي تصيب الراهب نتيجة العزلة وعدم وجود اب روحي يأخذ بيده ويشد على عزيمته "لم أستمع لصوت مرشدي ولا أمْلتُ اذني الى معلمي. لذلك ساء مقامي جداً في وسط المحفل والجماعة" [112].وهناك بعض الرهبان عند الضرورة العقائدية يترك ديره وحياة العزلة ويعود الى المدينة لأداء مهمة روحية أو رسالة هامة لفرد أو شعب، ثم يرجع بعد ذلك الى ديره، وهذا ما فعله القديس انطونيوس ابو الرهبان (251 -356م) الذي نزل الى المدينة مرتين، المرة الأولى زمن استشهاد النصارى في اضطهاد الأباطرة الرومان، فاراد أن يثبت عزم النصارى[113]، والمرة الثانية أثناء اضطهاد القديس اثناسيوس[114] الرسولي (326- 373م) في جهاده ضد العقيدة الاريوسية[115]، فجاء القديس انطونيوس (251- 356م) ليثبت الناس على الايمان كبديل لاثناسيوس[116]، وهذا ما فعله أيضاً القديس (شنودة) [117] رئيس المتوحدين (333 – 451م) الذي رافق البابا كيرس الأول [118] (412- 444م) الى المجمع المسكوني الثاني في أفسس سنة (431م) لمحاربة آراء نسطور[119].

الخاتمة:

تعتقد الباحثة إن حياة الرهبانية هي تعبير عن ردود الفعل للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعقائدية في المجتمع الروماني. وحيث إن الحياة في المجتمع الروماني تعج بأنماط اللهو والمجون والمتع واللذائذ المختلفة، فقد عزم هؤلاء الرهبان على حرمان أنفسهم من كل هذه المظاهر، بل والحقوا بأنفسهم وأجسادهم صوراً من الأذى والمعاناة وصولاً لتحقيق النقاء الروحي للالتحاق بالذات الالهية. وكانت حياة العزلة والانفراد هي المظهر الأول لهذه الرهبنة، لكن بعض الرواد الأوائل من الرهبان وجد إن العزلة لا تحقق الانتشار والايمان بهذا الاسلوب من العبادة، ففضلوا الالتقاء بالناس ودعوتهم الى الالتحاق بهم وقد نجحوا في ذلك وهرع إليهم من أهل القرى والمدن أعداد كثيرة. وجدت السلطة الرومانية في هذه العقائد وسيلة لهروب الفلاحين من الخدمة العسكرية ، فألغت الاعفاء الذي تمتع به الرهبان أولاً، والزمتهم بالالتحاق بالخدمة العسكرية مما زاد من معاناتهم. واذا كانت أسباب مختلفة ابتدعت هذا النوع من التعبد النصراني وهي في مجملها خارجة عن الفرد فإن اسباباً أخرى نفسية دفعت بالبعض للتوجه الى هذه الحياة ولم يكن هو ممن يشعر بضغوط الحياة المدنية المختلفة. ولم يرض الرهبان أن يكونوا جهة ضعيفة تستبيحهم الأعداء والوحوش، لذلك كانت حياة التعاون بينهم قد حققت لهم وسائل الدفاع من الأعداء، بل ضمنت لهم توفير الغذاء والماء، بتطوع المقتدرين وأصحاب المهارات للقيام بهذه الأعمال. لكن مع ذلك أرجفت حياة الرهبنة بارتداد البعض عنها بعد معاناتهم من الكآبة والحزن، فيما صمد الآخرون وكانت عودة المرتدين الى المدينة، وهناً في حياة الرهبانية ، ولعل شعور الندم الذي لحق بعض هؤلاء المرتدين دفع بهم الى العودة ثانية لحياة الرهبنة، فيما بقي البعض الآخر في المدينة يتمتع بملذات الحياة والزواج ومناهج المجون التي حرمتها تعاليم

الرهبانية. من جانب آخر لم يحرم زعماء الرهبان والقديسون أنفسهم من المشاركة بشؤون المدينة العامة السياسية والعقائدية التي تعالجها المجاميع المسكونية، بل أسهموا في ذلك بنشاط ظاهر، لتأكيد أن حياة الرهبنة لا تعني أبداً الانقطاع عن شؤون المجتمع وحاجاته العامة السياسية والعقائدية.

الهوامش:

1) يحيى لطفي عبدالوهاب، دراسات في تاريخ مصر (عصر البطالمة)، ط1، مط المصري، الاسكندرية، سنة (1387هـ/ 1967م)، ج1، ص98-99؛ يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، الكلية الاكليركية اللاهوتية للاقباط الارثوذكس، مصر، د.ت، ص26.

2) الحسيني، السيد، موسوعة مصر الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة (1417هـ/ 1996م)، مج3، ص3.

3) ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت 779هـ/ 1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار، كتب هوامشه طلال حرب، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة (1428هـ/ 2007م)، ص58.

4) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/ 1283م)، آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، سنة (1380هـ/ 1960م)، ص265.

5) ويكيبيديا mhtml:file://G.p.1

6) الحسيني ، موسوعة مصر الحديثة، مج3، ص26.

7) mhtml:file://G.p.3

8) الحسيني ، موسوعة مصر الحديثة، مج3، ص27.

9) م. ن، مج3، ص23.

10) mhtml:file://G.p.3

11) mhtml:file://G.p.3

12) الحسيني ، موسوعة مصر الحديثة، مج3، ص8.

13) ابن الفقيه الهمذاني، ابو عبد الله احمد بن محمد (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، البلدان، تح يوسف الهادي، ط2، عالم الكتب، بيروت، سنة (1420هـ/ 2009م)، ص128؛ الشريف الادريسي، ابو عبد الله محمد بن محمد (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، سنة (1422هـ/ 2002م)، مج1، ص324.

14) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله (ت 626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، ط8، دار صادر، بيروت، سنة (1413هـ/ 2010م)، مج5، ص141.

15) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ/ 1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، وضع حواشيه خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة (1418هـ/ 1998م)، ج1، ص81.

16) يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص26.

17) غريغوريوس، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، مكتبة الشباب بالانبا رويس، مصر، د.ت، ص30.

18) اباء الكنسية القبطية، بستان الرهبان ، تقديم اسبيروجبور، ط2، مكتبة السائح، لبنان، سنة (1426هـ/ 2005م)، ص7؛ مارتيروس، الرهبنة القبطية الام لرهبنات العالم، ط1، مكتبة مارجرجس، مصر، سنة (1423هـ/ 2002م)، ص10.

19) يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص23.

20) غريغوريوس، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص51.

21) فتاح، عرفان عبد الحميد، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، ط1، دار عمار للنشر، للاردن، سنة (1420هـ/ 2000م)، ص103.

22) المسعودي البرموسي، عبد المسيح صليب (ت 1355هـ/ 1936م)، تحفة السائلين في ذكر أديرة رهبان المصريين، مط الشمس، مصر، سنة (1351هـ/ 1931م)، ص17.

23) ديسيوس أوداقيوس (249- 251م): امبراطور روماني، يكره الديانة النصرانية، متمسك بالديانة الوثنية، وطد العزم على استئصال النصرانية بعدة اجراءات ابتدعها. للاستزادة ينظر: ملر، اندرو، مختصر تاريخ الكنيسة، ط4، مكتبة الاخوة، مصر، سنة (1324هـ/ 2003م)، ص132.

24) فاليريان (253- 260م): امبراطور وثني حارب النصرانية بقوة، عن طريق القتل والنفي ومصادرة الاملاك. للاستزادة ينظر: ملاتيوس، الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة، عن مختصر تاريخ استفانوس قوميطا، طبعه كيريوس كيريوس كيرلس، مط القبر المقدس البطريركية، اورشليم (القدس) ، سنة (1284هـ/ 1867م)، ص60؛ رستم، اسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط1، دار المكشوف، بيروت، سنة (1416هـ/ 1995م)، ج1، ص35.

25) دقلديانوس (284 -305م): يعد حكم هذا الامبراطور خاتمة عهود الاضطهاد لاقباط مصر، لذلك فإن الكنيسة القبطية تجعل بدء تقويمها يوم (29 أغسطس/ أب عام 284م)، ويسمى هذا التقويم بتقويم الشهداء لكثرة ماسفك فيه من دماء النصارى وماتعرضوا له إبادة جماعية على يد هذا الامبراطور. للاستزادة ينظر: يوحنا، منسي، تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، مصر، د.ت، ص180؛ كامل، مراد، حضارة مصر في العصر القبطي، اعداد وتعليق ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة، مصر، سنة (1426هـ/ 2005م)، ص53- 60.

26) المقريزي، الخطط المقريزية، ج4، ص396- 397.

27) الديراني، افرام، العيشة الهنية في الحياة النسكية، مط الادبية، بيروت، سنة (1317هـ/ 1899م)، ص5؛ العبادي، مصطفى، الامبراطورية الرومانية النظام الامبراطوري ومصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، سنة (1420هـ/ 1999م)، ص288؛ يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص28.

28) العبرانيون، 11: 37- 38.

29) ابن العبري، ابو الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي (ت685هـ/ 1286م)، الحمامة مختصر في ترويض النساك، تح زكاعيواص، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، بغداد، سنة (1394هـ/ 1974م)، ص93.

30) اليوسف، عبد القادر احمد، الامبراطورية البيزنطية، دار المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، سنة (1386هـ/ 1966م)، ص190.

31) ساويرس (القرن العاشر الميلادي)، تاريخ البطاركة، تعليق ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، سنة (1425هـ/ 2004م)، ص20؛ المالكي، رغد عبد النبي جعفر، الرهبانية النصرانية في مصر من القرن الثالث الميلادي الى القرن الخامس الميلادي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، سنة (1434هـ/ 2013م)، ص68.

32) البابا: اسم أطلق أولاً على جميع الأساقفة، نظراً الى ابوتهم الروحية، ثم حصر في النصف الأول من القرن الثالث في أسقف الكرسي الاسكندري، وفي الربع الأخير من القرن السادس أطلق أيضاً على أسقف الكرسي الروماني. ينظر: اليسوعي، صبحي حموي، معجم الايمان المسيحي، أعاد النظر فيه جان كوربون، ط2، دار المشرق، بيروت، سنة (1409هـ/ 1988م)، ص91؛ للاستزادة ينظر:
Thompson, J.W, The Middle Ages, (New York,1931), Vol.1, pp.51- 52; Cambridge Medival History, (New York, 1924), Vol.1, pp. 169- 173.

33) ديونيسوس (246- 264م): هو البطريريك الرابع عشر، ولد بالاسكندرية في آواخر القرن الثاني للميلاد، انخرط في سلك المدرسة اللاهوتية نبغ في العلوم الفلسفية، حارب مخالفات عصره كعقيدة نوفاتيوس وعقيدة سابيليوس ، وفي موجة الاضطهادات تعرض للاعتقال والنفي مرتين، ولغزارة علمه لقبته الكنيسة بقاضي المسكونة. للاستزادة ينظر: ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ص19- 20؛ ابو ياغي، جان دارك، بطاركة الشرق تاريخ وحضور، ط1، مط معوشي وزكريا، لبنان، سنة (1431هـ/ 2010م)، ص48.

34) العبادي، الامبراطورية الرومانية، ص289.

35) جيبون، ادوارد، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد علي ابودرة، مراجعة وتقديم احمد نجيب هاشم، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة (1418هـ/ 1997م)، ج1، ص257.

36) تاريخ الكنيسة الشرقية، ط2، شركة التايمس للطبع والنشر المساهمة، بغداد، سنة (1406هـ/ 1985م)، ج1، ص165.

37) إ. س، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية خفايا قرون، ترجمة حسان ميخائيل اسحق، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سورية، سنة (1428هـ/ 2007م)، ص261.

38) الانبا: لفظ أصله (أبا) في الكنيسة القبطية، وهو لقب كنسي رفيع يتقدم اسماء رؤساء الرهبان والأساقفة والقديسين. ينظر: اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص67.

39) حبيب، رؤوف، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارها الانسانية على العالم، مكتبة المحبة، مصر، سنة (1399هـ/ 1978م)، ص11.

40) المسكين، متى، الرهبنة القبطية في عصر القديس انبا مقار، ط2، مط دير القديس انبا مقار (وادي النطرون)، القاهرة، سنة (1405هـ/ 1984م)، ص45؛ يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص31.

41) المسكين،الرهبنة القبطية، ص47.

42) الديراني، العيشة الهنية في الحياة النسكية، ص8؛ فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية واصول عقائدها ، ص104.

43) الأديرة: مفردها دير، وهو مسكن الرهبان الذين يعيشون فيه عيشة مشتركة. ينظر: اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص218.

44) قسطنطين (305- 337م): هو الامبراطور الذي أظهر تعاطفاً واضحاً مع النصارى، حين أصدر مرسوم ميلانو (313م)، والذي بموجبه أصبحت الديانة النصرانية العقيدة الرسمية للامبراطورية الرومانية. للاستزادة ينظر: رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم، ج1، ص52؛ اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص379.

45) الديراني، العيشة الهنية في الحياة النسكية، ص8؛ المسعودي، البرموسي تحفة السائلين في ذكر أديرة رهبان المصريين، ص16.

46) يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص27- 28.

47) جيبون، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ج1، ص261.

48) فالنس (364- 378م): كان يعتنق الديانة النصرانية على المذهب الاريوسي، لذلك أتسم حكمه بالفتن المتواصلة ولم تعرف مصر الاستقرار حتى وفاته سنة (378م). ينظر: الفرنسي، لومند، خلاصة تاريخ الكنيسة، ترجمة يوسف البستاني، مط الاباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، سنة (1329هـ/ 1911م)، ج1، ص208- 209؛ كمبي، جان، دليل الى قراءة تاريخ الكنيسة، ط1، دار المشرق، بيروت، سنة (1415هـ/ 1994م)، ص123؛ كامل، حضارة مصر في العصر القبطي، ص60.

49) المسكين،الرهبنة القبطية، ص106.

50) رستم، اسد، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، سنة (1409هـ/ 1988م)، ج1، ص394.

51) سليم، صبري ابو الخير، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، ط2، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، سنة (1422هـ/ 2001م)، ص72.

52) حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص41.

53) ايسيذورس، الراهب البرموسي (ت1359هـ/ 1940م)، حسن السلوك في تاريخ البطاركة والملوك، د.مط، القاهرة، سنة (1315هـ/ 1897م)، ج1، ص115.

54) فرح، نعيم، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ط2، منشورات جامعة دمشق، دمشق، سنة (1421هـ/ 2000م)، ص231.

55) يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص 28- 29.

56) فرح، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ص231.

57) القديس مارمينا العجائبي: كان أبوه من مديري الأقاليم في آسيا الصغرى، ثم نقل الى مصر، ولما مات عين مينا في منصبه، وعندما وقع اضطهاد دقلديانوس (284- 305م) ترك منصبه ولجأ الى البرية ، غير أن ضميره وبخه على قراره، فرجع الى المدينة وجاهر بديانته النصرانية فقطعت رأسه، وفي مصر توجد عدة كنائس تحمل أسمه، وهو صاحب دير معروف في صحراء مريوط. لاستزادة ينظر: يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، ص186.

58) ارسانيوس: روماني الأصل، فيلسوف ذائع الصيت تقلد مناصب رفيعة، منها أنه كان مربي ابناء الملوك، ترك حياة الترف ومارس النسك والعبادة، بعد أن رحل الى شهيت في وادي النطرون. حيث تتلمذ على يد القديس يوحنا القصير، ثم هرب الى جبل طرا المشرف على النيل أثناء غارة البربر وتوفي هناك سنة (445م). ينظر: اباء الكنيسة القبطية، بستان الرهبان، ص523- 524.

59) مكسيموس ودوماديوس: هما أبني الامبراطور الروماني فالنتينس الأول (264- 375م)، تركا قصر أبيهما وعرشه وترهبا في سورية عند القديس اغابيوس، ثم رحلا الى مصر عند القديس مقاريوس الكبير (300- 390م)، وعاشا هناك حياة الزهد والغربة الى أن توفيا ودفنا في شيهيت. ينظر: متاؤس، سمو الرهبنة، ط2، بطريركية الاقباط الارثوذكسية خدمة الشباب، مصر، سنة (1405هـ/ 1984م)، ص157.

60) دميانة (ت 303م): هي أبنة حاكم شمال الدلتا، رغبت في حياة التبتل، فانسحبت الى دير للراهبات مع أربعين من عذارى القبط من بنات أعيان الولاية، وفي اضطهاد دقلديانوس (284- 305م) ذبحنَّ جميعاً، وقد أمر الامبراطور قسطنطين (305- 337م) بتشييد كنيسة فوق قبورهن بالبراري. للاستزادة ينظر: مؤلف مجهول، مخطوط السنكسار القبطي اليعقوبي، ترجمة رينيه باسيه، تعليق ميخائيل

مكسي اسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، سنة (1424هـ/ 2003م)، ص358- 359؛ دورليان، بول شينو، القديسون المصريون، ترجمة ميخائيل مكسي اسكندر ومريام جميل ابي ناصر، مكتبة المحبة، مصر، سنة (1423هـ/ 2002م)، ص53؛ حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص 127- 128.

61) ايلاريا: هي ابنة الامبراطور زينون (474- 491م) ملك القسطنطينية، ترهبت سراً في برية شيهيت في وادي النطرون، وتسمت باسم الراهب (ايلاري) بعد أن أدعت إنها رجل ، خوفاً من أن يعثر عليها والدها، وعاشت في صلاة وصوم ونسك، الى أن توفيت آواخر القرن الخامس للميلاد. للاستزادة ينظر: مؤلف مجهول، مخطوط السنكسار القبطي اليعقوبي، ص202؛ المسعودي البرموسي، تحفة السائلين في ذكر أديرة رهبان المصريين، ص49؛ حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص 114.

62) غريغوريوس، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص54.

63) نسيم، سليمان، التربية في العصر القبطي والشخصية القومية المصرية، ط1، دار الثقافة، مط دار الجيل، القاهرة، سنة (1410هـ/ 1989م)، ص150؛ فرح، ، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ص231.

64) الرهبنة القبطية الام لرهبنات العالم، ص35.

65) متاؤس، سمو الرهبنة، ص41.

66) المزامير 147: 8-9.

67) يوحنا القصير: هو أحد أعمدة الرهبنة في برية شيهيت، تتلمذ على يد الانبا بمويه (ت374م) وعاش في طاعته عاكفاً على الصلوات ودراسة الاسفار المقدسة والتأمل، وبعد حياة حافلة بالصبر والنسك توفي سنة (396م). للاستزادة ينظر: بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص143؛ اباء الكنيسة القبطية، بستان الرهبان، ص529- 530؛ دورليان، القديسون المصريون، ص133.

68) اباء الكنيسة القبطية، بستان الرهبان، ص446.

69) نسيم، التربية في العصر القبطي، ص148.

70) حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص 40؛ متاؤس، سمو الرهبنة، ص43.

71) باخوميوس (290- 348م): هو ابو الشركة، مصري من الصعيد الأعلى، نشأ وثنياً، تعمد وترهب عند القديس بلامون لعدة سنوات، ثم ترك الانبا بلامون وأسس شركة رهبانية سنة (320م)، نتج عنها جملة أديرة في الصعيد الأعلى، أنتقلت قوانينه النسكية وأنظمته الرهبانية الى أوروبا. للاستزادة ينظر: بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص132- 133؛ اباء الكنيسة القبطية، بستان الرهبان، ص525- 526.

72) آمون النتروني (294- 350م): هو مؤسس أديرة نتريا في وادي النطرون من مصر، ناسك من الاسكندرية، عشق الحياة الرهبانية ، فانعزل في نتريا كمتوحد ، فطار صيته فقصده العديد من الرهبان للتتلمذ على يده، مما شكل أول تجمع رهباني في تلك المنطقة في القرن الرابع للميلاد. ينظر: بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص58؛ المسكين، الرهبنة القبطية، ص180؛ حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص 64.

73) مكاريوس الكبير (300- 390م): هو مؤسس الجماعات الرهبانية في الاسقيط، توحد فيها بعد أن زار الانبا انطونيوس (251- 356م) وتزود ببركته وتتلمذ عليه، بنى ديراً مازال يحمل أسمه حتى اليوم (دير ابو مقار) توفي ودفن في ديره. ينظر: بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص80؛ اباء الكنيسة القبطية، بستان الرهبان، ص527.

74) مكاريوس الاسكندري (ت 394م): هو ابو القلالي بوادي النطرون، أشتهر بضروب التقشف الصارمة التي كان يمارسها، تعرض للاضطهاد الاريوسي كغيره من الرهبان، ونفي الى جزيرة في دلتا النيل سنة (374م)، توفي سنة (394م). للاستزادة ينظر: بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص86- 88؛ اباء الكنيسة القبطية، بستان الرهبان، ص527 -528.

75) القلالي: جمع قلاية، وفي الاصل ترجع الى الكلمة اليونانية (كليا)، وتعرف باللاتينية (سيليا)، وبالقبطية (نيري او قلية)، وبالعربية (المونا) اي المساكن ويعتقد أنه لفظ قبطي اصلاً، والقلية هي حجرة الناسك أو الراهب. ينظر: مجموعة من الباحثين، المنجد في اللغة، ط42، دار المشرق، بيروت، لبنان، سنة (1428هـ/ 2007م)، ص652؛ المسكين،الرهبنة القبطية، ص190؛ يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص41؛ غريغوريوس، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص69.

76) اليوسف، الامبراطورية البيزنطية، ص188.

77) ذوروثاوس: ولد في طيبة بمصر، واعتنق الحياة التوحيدية، اعتزل في أحد الكهوف سنة (328م)، في منطقة واقعة بين الاسكنطرية ونتريا ، وقد توفي سنة (395م). ينظر: بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص43.

78) بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص43؛ دورليان، القديسون المصريون، ص223؛ بورات، بي، تاريخ الروحانية المسيحية من زمن يسوع المسيح حتى فجر العصور الوسطى، ترجمة تكلس نسيم سلامة، مراجعة محمد حسن غنيم، ط1، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة (1433هـ/ 2012م)، مج1، ص98.

79) ابولونيوس: كان طبيباً أو صيدلياً، إذ أمضى حياته في تحضير الأدوية والعلاجات للاخوة المرضى، وهذا دليل على ان رهبان القفر ونساكه لم يكونوا كلهم أميين، بل كان ثمة في عدادهم أيضاً اشخاص ذوو ثقافات علمية وأدبية عالية. ينظر: بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص72.

80) بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص72.

81) بورات، تاريخ الروحانية المسيحية، مج1، ص137.

82) حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص83.

83) البربر: اسم يطلق على سكان أفريقية الشمالية من برقة الى المحيط، اشتهروا منذ عهد الرومان بتمردهم وثوراتهم، من ممالكهم القديمة نوميديا وموريتانيا، وهم اليوم سكان جبال أوراس والاطلس والريف وبلاد القبائل والصحراء. للاستزادة ينظر: مجموعة من الباحثين، المنجد في الاعلام، ص118.

84) الجواسق: مفردها (جوسق) هو القصر أو الحصن. ينظر: ادي شير، الكلداني الاثوري (ت 1334هـ/ 1915م)، الألفاظ الفارسية المعربة، ط1، الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، سنة (1326هـ/ 1908م)، ص48؛ مجموعة من الباحثين، المنجد في اللغة، ص110 [مادة الجواسق].

85) حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص82؛ والترز، ك. ك، الأديرة الأثرية في مصر، ترجمة ابراهيم سلامة ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة (1422هـ/ 2001م)، ص131.

86) تاريخ الاقباط، ط1، جمعية التوفيق القبطية، لجنة التاريخ والنشر، د.م. سنة (1382هـ/ 1962م)، ج1، ص189؛ عجيبة، احمد علي، الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها، ط1، دار الاوقاف العربية، القاهرة، سنة (1425هـ/ 2004م)، ص 77- 78.

87) تادرس، ولد سنة (314م) في البر المصري من أسرة ثرية، اختار طريق العزلة والعيشة النسكية ملتحقاً بدير (طابنسين)، فكان تلميذاً مجتهداً ومطيعاً، اختير القديس (باترونيوس) رئيساً عاماً لأديرة القديس باخوميوس بعد وفاة الاخير سنة (348م)، ثم اختير القديس (اورسيليوس) وبعد وفاته اتفق الجميع على انتخاب القديس (تادرس) الى ان توفي سنة (367م). للاستزادة ينظر: مظلوم، مكسيموس، الكنز الثمين في اخبار القديسين، ط2، مط يوحنا النجار، بيروت، سنة (1286هـ/ 1869م)، مج3، ص83- 87.

88) رشم علامة الصليب: الرشم هو الأثر ، وفي المصطلح الكنسي أي صلب بأصبعه أو بصليب أو بغيره نحو شيء، والظاهر ان رشم علامة الصليب تتقي الانسان، وتهزم أبليس، وعلامة افتخار أيضاً، كما ان رشم علامة الصليب ممارسة طقسية يمارسها الاقباط من داخل الليتورجيادون نداء محدد من الشماس بذلك، ودون تعليمات طقسية أيضاً فهي تقليد شعبي تقوي، وقد مر رشم الصليب بمراحل طقسية كثيرة فيها. ينظر: اثناسيوس، معجم المصطلحات الكنسية، ط2، مط دار نوبار، القاهرة، سنة (1424هـ/ 2005م)، ج2، ص130- 132.

89) دورليان، القديسون المصريون، ص200.

90) حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص58.

91) نسيم، التربية في العصر القبطي، ص150.

92) التاريخ اللوزي، ص55.

93) والترز ، الأديرة الأثرية في مصر، ص318.

94) م.ن، ص311.

95) موسى الأسود التائب: ولد في اثيوبيا (الحبشة) كان أول مرة رئيس عصابة ، ثم أعتنق الحياة التوحيدية، فقصد منطقة الاسقيط بوادي النطرون للتتلمذ لمكاريوس الكبير (300- 390م)، فرسم كاهناً، يرجح انه توفي سنة (400م). ينظر: بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص98.

96) دورليان، القديسون المصريون، ص319.

97) والترز ، الأديرة الأثرية في مصر، ص311.

98) حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص40.

99) بورات، تاريخ الروحانية المسيحية ، مج1، ص149.

100)نسيم، التربية في العصر القبطي، ص150.

101)الدومينيكي، جوردان أومان، دليل الى قراءة تاريخ الروحانية المسيحية في التقليد الكاثوليكي، نقله الى العربية سامي حلاق اليسوعي، ط1، دار المشرق ، بيروت، سنة (1434هـ/ 2013م)، ص54؛ مارتيروس الرهبنة القبطية الام لرهبنات العالم، ص34.

102)بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص 94- 95.

103)م. ن، ص82.

104) بورات ، تاريخ الروحانية المسيحية، مج1، ص138.

105)النذر: وعد علني وديني يلتزم به المؤمن حين الانضمام الى السلك الرهباني، وتشمل نذر الفقر والعفة والطاعة، حيث يهب الراهب لله أمواله وشخصه ونفسه. ينظر: اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص505- 506.

106)حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، ص40.

107)متاؤس، سمو الرهبنة، ص24.

108)المناولة: هي اقتبال القربان المقدس. ينظر: مجموعة من الباحثين، المنجد في اللغة، ص848 [مادة نول].

109)بلاديوس، التاريخ اللوزي، ص 122.

110)م. ن، ص123.

111)م. ن، ص124.

112)العهد القديم، أمثال 5: 13-14

113)غريغوريوس، الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ص 31.

114)اثناسيوس (326 -373م): ولد بالاسكندرية عام (296م) كان شماس للبابا الكسندروس (313- 326م) أوصى برسامته بعده على الكرسي المرقسي وهذا ماتم بالفعل، جاهد اثناسيوس من أجل الحفاظ على الايمان الارثوذكسي حتى تم نفيه، وابعد عن كرسيه (5 مرات) بسبب محاربات المخالفين، وضع قانون الايمان في مجمع نيقيا (325م)، وتم فيه تحريم اريوس، ترك اثناسيوس عدة مقالات وكتب. للاستزادة ينظر: ابن المقفع، تاريخ البطاركة، ص27- 30؛ كامل، حضارة مصر في العصر القبطي، ص 53- 60.

115)العقيدة الاريوسية: اعتبرها الارثوذكسيين بدعة في القرن الرابع، نشرها اريوس قائلاً بأن الكلمة ليس بإله، بل خليقة ثانوية أو خاضعة، فحرمه المجمع النيقاوي الأول في سنة (325م) ونفاه، توفي سنة (336م). للاستزادة ينظر: رستم، اسد، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، ج1، ص215؛ اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص32.

116)كامل، حضارة مصر في العصر القبطي، ص 305.

117)شنودة (333- 451م): راهب متوحد كان رئيس الدير الابيض بالقرب من اخميم، عدل قوانين القديس باخوميوس (290- 348م) وجعلها اكثر صرامة. ينظر: اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص288.

118)البابا كيرس الأول (412- 444م): (عمود الدين) هو ابن اخت البابا ثاوفيلس وقد تربى عنده في مدرسة الاسكندرية اللاهوتية، أرسله خاله الى دير القديس مقار فتتلمذ على ايدي الرهبان القديسين خمس سنوات، ثم رسمه شماساً وعينه واعظاً وجعله كاتباً له، ثم أصبح بطريركاً سنة (412م)، فرأس المجمع المسكوني في مدينة أفسس وناقش نسطور بطريرك القسطنطينية، توفي سنة (444م). للاستزادة ينظر: ابو ياغي، بطاركة الشرق تاريخ وحضور، ص50 -51.

119)نسطور : هو نسطور يوس بطريرك القسطنطينية، قال بجوهرين واقنومين"، أمتدت اراء في الجهات، مما اثار البابا كيرلس بالاسكندرية فعقد مجمع أفسس سنة (431م)، حرم فيه نسطور ونفي الى البتراء، ثم الى ليبيا، حيث توفي بعد المجمع الخلقيدوني سنة (451م). ينظر: ايسنذورس، الراهب البرموسي(1359هـ/ 1940م)، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، طبعه عطا الله ارسانيوس المحرقي، د.مط، سوريا، د.ت، ج1، ص483 -284؛ اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص509.